البعث

انقلاب الثامن من آذار

– بين 8 شباط و8 آذار 1963 كان أكرم حوراني وعصام العطار يذهبان يوميا الى القصر للتشاور مع القدسي رئيس حكومة الانفصال، وكانت الشائعات تسري عن قرب حدوث تحرك ما يطيح بالسلطة. وكانت هذه الشائعات من التناقض بحيث لا يتبين الانسان العادي الحقيقة وراءها فلا يحملها محمل الجد، فمن قائل أن الانقلاب سيكون رجعيا يدفع له الملك حسين، ومن قائل أن السراج نظم جماعته لاستعادة الحكم لصالح عبد الناصر، ومن قائل أن الانقلاب سيقوم به الشيوعيون المنظمون سرا. ذهبت الى أكرم حوراني وقلت له "هل أنت والعطار وحدكما الشعب السوري، ما معنى هذه اللقاءات مع القدسي وماذا يراد بها؟ أجابني الحوراني "نحن في خشية من انقلاب رجعي" ضحكت وقلت "لا! بل هذه المرة سيكون الانقلاب تقدميا". بهت الحوراني لكأنما صاعقة نزلت على رأسه وتأكدت، وكان استنتاجي قائما على التحليل وليس على معلومات مسبقة، بأن البعث ضالع في أمر يحضر له. واذا كان هناك انقلاب ما، فهو يجري بالتواطؤ مع حكم الانفصال وليس رغما عنه، وأن القدسي يشارك في انقلاب على نفسه لصالح البعث..

كنت قد انتهيت من طباعة كتابي "الناصرية في جملة الاستعمار الحديث" وكانت العراق قد طلبت مني ألفي نسخة، (مجموع النسخ 7 آلاف) وفجأة حدث انقلاب شباط الدموي ضد عبد الكريم قاسم واستلم البعث مقاليد العراق. وكان بعثيو سوريا هم وحدهم الفئة القادرة على القيام بانقلاب لخلو الساحة لهم بعد أن ضرب عبد الناصر الشيوعيين في سوريا، فقدرت أن البعث هم من سيقومون بالانقلاب. ولعل هذا الكشف المسبق هو الذي جعلهم يسرعون في تنفيذه قبل أن يشيع أمره ويفشل. ولم يمض شهر على انقلاب العراق حتى قام البعثيون في سوريا يؤازرهم الناصرون بانقلابهم دون أن يطلقوا رصاصة واحدة. ثم بدأت ملاحقة خصومهم.

صودر كتابي في العراق وسوريا ولوحقت. ومن طرائف الصدف أنني كنت أختبئ في شقة محام صديق قبالة شقة ميشيل عفلق وكنت أراه من خلف الستارة وهو يجلس في شرفته. ثم قيض لي أن أسافر الى لبنان بالرغم من الأمر الصادر بحقي قضائيا بمنعي من دخول لبنان بعد مقتل غسان جديد الذي اتهمت والسراج بأننا المحرضان على قتله.

تصوري أنني وأنا اللبناني الأصل، وصيدا نصف سكانها من أقربائي وأنا مولود هناك ومسجل في دائرة نفوسها، كان علي أن أعيش هناك بشكل غير قانوني. فالحكم الطائفي في لبنان كان يرفض إعطاءنا الجنسية لأن والدي ترك لبنان

وذهب الى سوريا بسبب تعيينه كرئيس للمحكمة هناك، بالرغم أن سوريا ولبنان كانا واقعين تحت سلطة انتداب واحد وتعتبران كبلد واحد، بينما الطائفيون الذين هاجر آباؤهم الى أميركا وغيرها من البلدان كانوا يعطون هذا الحق.

سبب لي وجودي في لبنان كثيرا من الإزعاج فأنا لم أكن أستطيع التجوال حرا في البلد و كنت شبه سجين، ويحضرني في هذه المناسبة معاملة سوريا للبنانيين فان شوكت شقير اللبناني الجنسية أعطي الجنسية السورية، وبعد ستة أعوام أصبح رئيسا للأركان.

تشرزم البعث

حدثني حافظ الجمالي قال:

– في فترة الانفصال تشرزم الحزب، فحاولت أن ألملم شمله، واتصلت بكثير من الأعضاء السابقين، ومن جملتهم نور الدين الأتاسي، وكان في الصف الثاني من حيث الأهلية الحزبية. قال لي " الحزب وقع في الفساد واللصوصية والإنتهاز وحتى في الخيانة، وما عاد حزبا بل أنقاضا ". استغربت هذا القول منه، لأنه في انقلاب 8 آذار عام 1963 عين وزيرا للداخلية، بينما لم يكن لي أنا علم مسبق بالإنقلاب.

وأضاف حافظ الجمالي "منذ ذلك الوقت كان البعث يتخبط ويبتعد عن عقيدته "..

أنا لم أعلق على حديثه ولم أشرح له ما حدث، ولا أنوي أن أفعل ذلك. كان البعث حينذاك ينقسم الى ثلاثة تيارات:

(1) بعث عفلق – البيطار الذي يريد وحدة مشروطة مع عبد الناصر.

(2) بعث أكرم حوراني الذي جعلته تجربته المرة مع عبد الناصر يرفض أية وحدة معه. عاد حينذاك أكرم الحوراني الى مفاهيمه القومية السورية كردة فعل تجاه الناصرية..

(3) بعث الفئة التي كانت من أصل قومي سوري ودخلت البعث عام 60 على الأخص وقبل ذلك إثر تورط الحزب القومي السوري في مقتل المالكي ومحاكمته وملاحقته. تحالفت هذه الفئة مع الناصريين بتحريض من عبد الناصر لإرجاع الوحدة، وكان لها ضباط في الجيش وأنصار واستفادت من الوحدة والاشتراكية في اكتساب القوة والتأييد، وكانت العمود الفقاري في انقلاب 8 آذار، فلما وصلت الى الحكم تنكرت للوحدة ثم للإشتراكية، وصفت الجيش من كل العناصر المعارضة لها.

هذه الفئة بالذات عملت على رفع نور الدين الأتاسي الى رئاسة الجمهورية وقبلها الى الأمانة العامة للحزب كواجهة سنية، بينما كانت تقوم بتخريب الحزب قوميا وعربيا ووحدويا، وتسرح من الجيش كل المعارضين لها بتهم التآمر المتكررة على الحكم.

* * *